بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة، منقحة جدًّا بعنوان:

ونَغْرِسُ فَيَأْكُلُ مَنْ بَعْدَنَا [١]

فريضةُ الإتقان

في الأعمال والأقوال والأحوال

عنوانُ الإيمان، ومفتاحُ التقدُّم، وسِرُّ النجاح

بقلم الدكتور أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ٤ ذو القعدة ١٤٤٦هـ ٢ مايو ٢٠٢٥م

الحمد لله الذي أحكم خلقه، وأتقن صنعه، ودبَّر أمر الكون بحكمته وعنايته ورعايته ورحمته، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وهو السميع العليم..

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدَّر فهدى، وأخرج المرعى، وأتقن كلَّ شيء خلقه...

الحمد لله الذي أمرنا بالإحسان والإتقان، وجعل إتقان العمل عبادةً، والسعي إليه شرفًا، وعمارة الأرض والإنسان والحياة رسالةً للإنسان في هذه الحياة...

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً تزيدنا قربًا وإيمانًا ويقينا بالله جلَّ في عُلاه...

وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) عبده ورسوله، خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وقائد الغر الميامين، سيد المتقنين، وقائد العاملين بمنهج رب العالمين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أيها المسلمون: أوصيكم ونفسي المقصرة بتقوى الله، فإنها وصيه الله للأولين والآخرين، قال تعالى: (...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ...) (النساء: ١٣١)، وقال (عزَّ وجلَّ): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)..

(١) هذه الخطبة كُتبت بشكل تجديدي وإثرائي؛ للإسهام في زيادة وعي السادة العلماء والخطباء، في إطار تحقيق أهداف خطبة الجمعة التي حددتها وزارة الأوقاف وللسادة الأئمة والدعاة الاطلاع عليها ودراستها، واختيار ما يناسبهم منها..والله ولي التوفيق.

كما أوصيكم ونفسي بالإحسان والإتقان في كل ما وُكِّل إلينا من أعمال أو أقوال أو مسؤوليات، فإنه لا سعادةَ في الدنيا، ولا فلاحَ في الآخرة إلا بالإخلاص لله، وتقوى الله، والإتقان في كل شيء: العبادات والأخلاقيات، والمعاملات وفي كل شيء في هذه الحياة... أما بعد،،،

أيها المؤمنون:

مدخل:

في البداية أشكر الله (سبحانه وتعالى) على مننه ونعمه وخيراته وبركاته التى لا تعد ولا تُحصى... وعلى أن أقامنا وشرفنا بمقام العلم والدعوة إليه..

وأشكر وزارة الأوقاف المصرية بقيادة معالي أ.د أسامة السيد الأزهري وزير الأوقاف، على اختيار هذا الموضوع المهم؛ ليكون موضوعًا لخطبة الجمعة في شتى أنحاء جمهورية مصر العربية.

وتنبع أهمية هذا الموضوع من جوانب ثلاثة:

الأول: أنه يأتي متوفقا مع احتفالات عيد العمال، الذين يقع عليهم عبء العمل والإبداع والإنجاز والقيام بمصالح البلاد والعباد، والإسهام المباشر في تحقيق التقدم والازدهار.

الثاني: أنه على الرغم من أن كثيرًا من العمال يصبون الاتقان ويسعون إليه، فإن هناك بعض السلبيات لدى البعض تؤثر سلبًا على الأداءات وتستوجب التنويه والتنبيه والعلاج.

الثالث: أن ديننا الإسلامى الحنيف بلغ شأو المعالي في دعوته إلى إتقان الأعمال والأقوال وحتى الأحوال وإحسانها وتجويدها بشكل كامل وشامل ومستدام، وتربية النشء والشباب والأجيال عليها؛ لإيجاد المجتمع المؤمن الذي تتحقق فيها معاني الخير ومعالم والخيرية.

سلبيات فى مواجهة الإتقان والتجويد:

في حياتنا اليومية، نسمع من بعض الناس عددًا من العبارات التى تُعبّر عن التساهل والاستخفاف بالإتقان، والتجويد، مثل: "مِشّى حالك"، "يا عم خلّص"، "مش لازم تدقّق قوي"، "هو حد بيقدَّر؟"، "همّ بيعملولنا إيه؟" وكأن الإتقان ليس فضيلة وفريضة، وكأن التجويد أمسى مضيعة للوقت!

ومن أشهر العبارات التي يطلقها بعض الناس التي تُستخدم لتبرير عدم الإتقان:

- مشّى حالك
- يا عم مش فارقة
- كفاية كده
- كده حلو أوي
- مش لازم كل حاجة تبقى مِيه على مِيه
- خلّيها تعدي
- كله زي بعضه
- ما تدوّرش، خلّيها ماشية
- المهم نخلّص
- مفيش وقت للكلام ده
- مين هيشوف ورانا؟
- كده كده محدش بيقدّر
- هو إحنا في امتحان ولا أيه؟

- إحنا بنقبض إيه؟
- دي مش قضيتنا
- أتعب ليه؟ مش مستاهلة
- ولو في عمل إداري مثلا، يقول: المهم الورق... ستف الأوراق ويبقى تمام.

مرود خطير:

هذه العبارات وغيرها تكشف عن **خلل في الفهم**، وتسهم في **نشر روح الاستسهال**، **وتُضعف الإحساس بالأمانة والمسؤولية**، وتعكس **ثقافة التساهل والتراخي وغياب روح الإتقان والمسؤولية**، وتسهم في **إضاعة حقوق الناس وأموالهم وأوقاتهم**، **وفقدان الثقة في كثير من العمال**، **وسيادة مبدأ التعميم**، **وظلم المخلصين وهم كثيرون**، **وتقتل روح المسؤولية**، **وتغتال الإبداع**، **وتحاصر الأمانة**، **وتُشيع ثقافة الإهمال واللامبالاة**، **وتحبط أهل الإتقان**، **وتؤدي إلى فقدان البركة**.

هذه النظرة السلبية من بعض ضعاف القلوب منتشرة في بعض الأماكن لدى عدد من الناس وتتعارض مع هدي الإسلام وتُعدّ من أكبر المعوّقات أمام النهضة والتقدّم.

كل ذلك في وقتٍ نحتاج فيه إلى أن نوقن بأن:

"الإتقان فريضة، لا ترف... ومسؤولية، لا خيار... وعبادة، لا عادة."

ومن ثم يجب على المؤسسات المعنية (الدينية، والتربوية، والإعلامية، والثقافية،...) أن تتعاون لاقتلا ع مثل هذه الأفكار الغريبة –عن ديننا وبلادنا وثقافتنا– من جذورها، وإزالة العشوائيات الفكرية والسلوكية التى عششت في عقول بعض الناس، وإشاعة قيم الإتقان والإبداع والتجويد في كل مكان.

الإتقان من جوهر الإيمان:

أيها المؤمنون:

اعلموا أن:

- الإتقان في العمل،
- والاهتمام به،
- والمحافظة عليه،
- والتميّز والبراعة فيه،
- وعدم البخل بتعليم الناس أسراره وخبراته...

من أهم المبادئ التى دعا إليها الإسلام الحنيف، بل هو من سمات المؤمنين الصادقين، وأساس نهضة الأوطان والأمم، ورفعة شأنها، واستقامة حياتها، وتحقيق قوتها وهيبتها.

فالإتقان هو المنهج الذي تقوم عليه الحضارات، وتُبنى به الأمم، ويدور عليه نظام الكون والحياة؛ فالحضارات لا تعيش، ولا تزدهر، إلا بمقدار مدى ديمومة الإتقان وسريانه في أوصالها وشرايينها.

وكان الأنبياء والمرسلون مضرب المثل في الإتقان والإحسان والتجويد، وقد سنّوا لنا أروع الأمثلة في ذلك، وسنذكر بعضها في السطور القادمة.

والإتقان من أهداف الدين الإسلامي الحنيف، وقد **أراد الله تعالى أن يعلّمنا الإتقان من خلال بديع خلقه**، فقد خلق كل شيء بإحكام وإعجاز. قال تعالى: (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ) (النمل: ٨٨).

وتأملوا في الآيات التالية: (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ .فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ) (الغاشية: ١٧-٢١)، كلّها –وغيرها كثير– دلائل على دقة الخلق، وروعة الإتقان، وبديع الصنعة.

وقد أوجب الله علينا الإحسان، ونهى عن الإفساد أو الإهمال..

فقال تعالى: (... وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (البقرة: ١٩٥)

وقال أيضًا: (... وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (القصص: ٧٧).

فكل فعل، أو قولٍ، أو سلوكٍ، أو حال للمسلم، يحتاج إلى:

- ✓ الإخلاص،
- ✓ والإتقان،
- ✓ والمراقبة.

فعلى كل عامل أن يُتقن عمله، وعلى كل طبيب أن يُتقن عمله، وعلى كل معلّم أن يُتقن عمله... تعبّدًا لله، وتقربًا إليه جلّ في علاه.

ونحن نعلم يقينًا أن أعمالنا كلها مُسجّلة، بل إن الله يراها قبل أن نقوم بها، وأثناء قيامنا بها، وبعد أن ننتهي منها. قال تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ...) (التوبة ١٠٥).

وهنا نتوقف ونتأمل ونتساءل: لماذا قال المولى سبحانه: (فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ) ولم يقل "أعمالكم"؟

الإجابة: حتى لا يتوهم كائن مَن كان أن أن الله سيرى أعمالنا بوجه عام، كلا.. فإن كل ما يتعلق بكل عمل على حدة، مرصود بكل تفاصيله، وجزئياته المتناهية في الصغر، والصغيرة، والمتوسطة، والكبيرة، الظاهرة والباطنة، المعلومة والمجهولة...إلخ، يراها الله.. يعلمها الله بعلمه الشامل الكامل الدائم المحيط... ويحاسب عليها....

- ✓ فحيّ على الإتقان، والإحسان، والإبداع، والتجويد، والبراعة.
- ✓ حيّ على الإخلاص.
- ✓ حيّ على المراقبة لله رب العالمين.
- ✓ حيّ على المسؤولية الفردية، والمسؤولية الجماعية، والمسؤولية الكونية،
- ✓ من أجل حماية الإنسان، وبناء الأوطان، وعمارة الكون، وصلاح الحياة.

هذا هو الموجز، وإليكم التفصيل يا عباد الله...

فريضة الإتقان في الإسلام

عِبادةٌ عمليةٌ وبوابة الرُّقي والتقدم والازدهار

- إتقانُ العمل وتجويدُه، والبراعةُ فيه، والتوجّه إليه بقصدٍ صادق، والأخذُ بأسبابِه قدرَ الجهدِ والطاقةِ، فريضةٌ من فرائض المنهج الإسلامي، يقول النبي (ﷺ): (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ...) [٢]، وقال (ﷺ): (...فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا...) [٣].
- وإتقان العمل في الإسلام فريضة على المسلم، ذلك أن أي عمل يقوم به المسلم في الحياة الدنيا، مهما بدا صغيرًا أو قليلا أو هيّنًا، يُعدُّ عبادةً، يُعد عبادة وجهادًا إذا صحت فيه النية وكانت خالصة لله سبحانه.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

- إن الإتقانُ في العملِ ليسَ فضلًا يُنتظر من المسلم، بل هو فريضةٌ تُطلب، ومقامٌ يُسعى إليه (في عبادته ومعاشه)، وهو مما أمرَ به اللهُ (تعالى)، ودعا إليه رسولُه الكريم (ﷺ): (إنَّ اللهَ تعالى يحبُّ إذا عملَ أحدُكمْ عملًا أنْ يتقنَهُ)[٤] كما أنَّ مَن يُتقن عملَه ويجوّده ويُحسِّنه سيَكونُ من المحبوبين عندَ الله (عزَّ وجلَّ) بدلالةِ مَنطوق الحديث الشريف[٥]، وأنَّ السبيلَ الأمثل لتقدُّمنا وازْدِهارنا وعلوِّ كَعْبنا ومِن ثمَّ حجز المكانة اللائقة بنا بين الأمم؛ يَكمنُ في أدائنا الحضاريّ المتميز، ولن يحدثَ ذلك إلا بتمثُّل منهج الله (تعالى)، ودستور الأخلاق النَّبوية، وأن نعيشَه، ونعايشه، ويعيشَ فينا على الدوام.

ويبقى الإتقان هو المعيارُ الحقيقيُّ بين المجتهد والمقصّر، ذلك لأن العبرة ليست في أداء العمل فحسب، بل في كيفيته، وإخلاص النية فيه، وبذل الوسع في إحكامه.

لقد قامت حضارتُنا الإسلامية الزاهرة المثمرة، البازغة الباذخة، وظللت جنبات الدنيا بعلومها وفنونها وخيراتها وخبراتها يومَ أن كان الإتقانُ فيها مبدأ ومنهجًا، فتسابقَ أهلُها في إحسانِ الصنعة، وجودةِ الأداء، وسموّ النية، فبلغوا بذلك مراتبَ سامية.. نعم لقد سادت حضارتُنا الإسلامية يوم أن جعل المسلمون من الإتقان شعارًا ومنهجًا؛ فأبدعوا في الصناعات –وقتذاك–، وتفننوا في العلوم، ونشروا الخير، وسادوا الدنيا بالحكمة والعلم والعمل.

فليكن إتقانُ العمل سمتَنا، وإحسانُ الأداء طريقتَنا ومنهاج حياتنا على الدوام.

اللّه يراك.. فليكن عملك دائما مُتقناً

حين تستقر في قلبك هذه الحقيقة:

- أن الله (تعالى) يراك في كل لحظة،
- ويُطالع أعمالك،
- ويطّلع على نواياك وخفاياك..

حينها فقط، ستتغير نظرتك إلى كل أمر أو عمل تقوم به، وستبذل فيه غاية وُسعك، وتصبغَه بصبغة الإتقان؛ لأنه ليس مجرد أداء وظيفي أو واجب روتيني، بل عبادة تُرفع إلى الله، فإما أن تُقبَل برضا، أو تُردّ.

قال تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (التوبة ١٠٥)، فهذا الخطاب الإلهي الحازم لا يترك عذرًا لمتهاون ولا متكاسل، فالله لا يغيب عنه شيء، يرى جهدك، يسمع قولك، يطلع على نيتك، ويعلم مقدار إخلاصك، ويُجازيك على قدر إحسانك...

ففي هذه الآية دليل واضح على أن الله تعالى:

- يَعلمُ كلَّ أحوالِنا،
- يَرى سائرَ أعمالِنا،
- ويَسمعُ جميعَ أقوالِنا،
- وهو بصيرٌ بكلّ حركاتِنا،
- وعليمٌ بشتى سكناتِنا،
- مُطَّلِعٌ على سرائرنا وعلانياتِنا،
- عليمٌ بنيّاتِنا وتصرفاتِنا.
- يرانا في صلواتنا وخلاواتنا وجلاواتنا...

(٤) أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير

(٥) راجع دراستنا: نحو إحياء قيمة العمل، منشور في العدد ١١٦٧ من صحيفة (الدعوة الإسلامية)، ليبيا، ١٣ مايو ٢٠٠٩م، ص ١٠

سبحانه سبحانه... لا تخفى عليه خافيةٌ في الأرض ولا في السماء... اعلموا أيها الناس أن هناك عينا يقظة، وأن هناك عِلمًا محيطًا، وهو علم الله الشامل: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) (غافر: ١٩)، لا يغيبُ عن علمه شيءٌ مهما قلَّ أو صَغُر، يَعلمُ ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، يراقبُنا في كلّ وقتٍ وحين، في الليل والنهار، في السرّ والإعلان...

وإذا كان الإتقان ليس أمرًا اختياريًّا، بل هو علامة المحبة الإلهية، ووسيلة لرفعة المسلم في الدنيا والآخرة؛ فيجب علينا أن نتقن أعمالنا غاية الإتقان؛ لأنه سبحانه، يُحب الإتقان والمحسنين، ويرانا ويجازي إحساننا وإتقاننا وتجويدنا، قال تعالى: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) (الرحمن: ٦٠).

الغرس سُنة الحياة

نغرس ونرحل.. لكن يبقى الأثر

ونغرس فيأكل مَن بعدنا:

"ونغرس فيأكل مَن بعدنا" عبارةٌ عظيمة تُلخِّص مبدأً جليلًا من مبادئ الإسلام، وهو العمل للمستقبل، والبذل للأجيال القادمة، ونشر بذور الخير حتى لو لم نرَ ثمرتها، وهو قريب من المصطلح الحديث التنمية المستدامة، ولكن من منظور إسلامي.

فرق بين الزرع والبذر والغرس:

الزرع: هو العملية الكاملة التي تشمل نثر البذور أو غرس النباتات في الأرض، ورعايتها حتى تنمو وتُثمر، ويستخدم غالبًا للإشارة إلى العملية الزراعية الكاملة أو الناتج منها.

البذر: هو نثر البذور في الأرض، سواء يدويًّا أو بآلة، ويُركّز على البداية، أي وضع البذرة فقط.

الغرس: هو غرس الشتلات أو الفسائل أو الأشجار الصغيرة في الأرض.

ولقد غرس لنا أجدادنا وآباؤنا فأكلنا من ثمار غرسهم، واليوم نغرس لأجيالنا الحالية والقادمة، إنها سنة الحياة... فسلامٌ على مَن غرس، وسلامٌ على مَن يغرس، وسلامٌ على مَن سيغرس، ويواصل غرسَ كل خير إلى يوم القيامة...

اللّه يعلمنا الإتقان

بآياته الكونية وآياته التشريعية

إنَّ من أعظم دلائل كمال الله (تعالى) وجلاله، وإرادته، وقدرته، وحكمته أنه خَلَقَ الكونَ والحياة والإنسان بإتقان بديع، ونظام دقيق، يشهد بعظمته (جلَّ وعلا).

فما من **ذرة**، ولا **خلية**، ولا **مخلوق صغير أو كبير**، ولا **جبل** أو **حجر** أو **شجر** أو **مدر**، ولا **فضاء** أو **هواء**، ولا **سحاب** أو **كواكب** إلا وهي آية ناطقة بوحدانية الله (عز وجل) وإبداعه وإتقانه وإحكامه، مصداقًا لقوله تعالى: (...صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) (النمل: ٨٨).

وفي السطور التالية نتأمل عددًا من مظاهر الإتقان الإلهي في خَلْق الإنسان، والكون، والحياة، ونبين كيف أن هذا الإتقان دعوة لنا إلى شكر الخالق، وإلى تعلم الإتقان في أقوالنا وأفعالنا وأحوالنا وفي كل أمورنا...

أولًا: مظاهر إتقان الله تعالى في خلق الكون

تأملوا هذا الكون العظيم الذي أبدعه الله (عزَّ وجلَّ)، فستجدون الإتقان يشعُّ في كل ذرة من ذراته:

- **نظم الله الأفلاك والكواكب والنجوم في مدارات دقيقة لا تختل ولا تصطدم**، فهي تسير في مداراتها بدقة لا تعرف اختلالًا، وسخر الليل والنهار، فجعل الكون متماسكًا متناسقًا بقدرته وعلمه قال الله تعالى: (لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) (يس: ٤٠).
- **رفع السماوات بغير عمد مرئية، في مشهد بديع يثير العقول والقلوب**، قال الله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) (الرعد: ٢).
- **الإحكام في القوى الكونية**: الجاذبية، والضغط الجوي، ودورة المياه، وتعاقب الليل والنهار، ودوران الأرض حول محورها، كلها تعمل في نظام متكامل دقيق يحفظ توازن الكون واستقرار الحياة على الأرض، ولو كان الكون إله آخر –حاشا لله–، لاختل وفسد واضطرب، قال تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) (الأنبياء: ٢٢).

ثانيا: مظاهر إتقان الله تعالى في خلق الحياة

تنوع الكائنات الحية: من نباتات، وحيوانات، وطيور، وأسماك، وكائنات دقيقة، كل نوع مخلوق بدقة عجيبة تتناسب مع بيئته وأسلوب معيشته، كما قال الله تعالى: (وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الذاريات: ٤٩).

التكامل البيئي العجيب: النباتات تنتج الأكسجين الذي تحتاجه الكائنات الحية للتنفس، والحيوانات تنتج ثاني أكسيد الكربون الذي تحتاجه النباتات للبقاء، في دورة حياة متقنة تحفظ الاتزان البيئي.

التوازن في السلاسل الغذائية: كل مخلوق يعتمد على غيره بشكل دقيق ومحسوب ومدروس ، فلا إفراط ولا تفريط، مما يحفظ استمرار الحياة على الأرض.

إنَّ هذا التكامل المدهش شاهدٌ آخر على عظمة الخالق الذي أتقن كل شيء خلقه.

ثالثًا: مظاهر إتقان الله تعالى في خلق الإنسان

تأملوا مراحل خلق الإنسان في بطن أمه، من نطفة إلى علقة إلى مضغة مخلقة وغير مخلقة، حتى تكتمل الخِلقة بإعجاز لا يبلغه عقل بشر.

إن أعظم المخلوقات في الدلالة على إتقان الخالق العظيم (جلَّ وعلا) هو الإنسان نفسه، قال تعالى: (وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (الذاريات: ٢١).

الإبداع في الخلق والتصوير: قال الله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) (التين: ٤).

الدقة المذهلة في وظائف الأعضاء: القلب ينبض بنظام محكم منتظم، المخ يدير أجهزة الجسم بذكاء معجز، الأجهزة الحيوية تعمل بتناغم بديع، فلا خلل ولا اضطراب.

نعمة العقل والقلب والنفس: ميز الله الإنسان بالعقل الذي يميز، والقلب الذي يفقه، والنفس التي تتفاعل مع المحيط، مما جعله خليفة الله في الأرض.

التنوع الجسدي والنفسي بين البشر مع وحدة الأصل، تحقيقًا لحكمة التعارف والتعاون، كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات: ١٣).

أثر التأمل في إتقان الله على سلوك الإنسان:

إنَّ تأمل مظاهر الإتقان في الكون والحياة والإنسان يثمر في القلب عدة معانٍ عظيمة:

- ✓ **تعميق الإيمان بالله**، إذ لا يمكن لعاقل أن يرى هذا الإتقان العجيب ثم لا يؤمن بعظمة الخالق.
- ✓ **شكر الله (عزّ وجلّ) على النعم التي أنعم بها علينا**، والتي لو عددناها ما أحصيناها.

✓ **التواضع أمام عظمة الله، فلا يغتر الإنسان بنفسه**، بل يشعر بضعفه وافتقاره إلى خالقه.
✓ **الإتقان في الأعمال**، لأن الله يحب من عباده المتقنين، كما قال رسول الله (ﷺ): (إنَّ اللهَ تعالى يحبُّ إذا عملَ أحدُكمْ عملًا أنْ يتقنَهُ)(٦).

عباد الله:

إن كلَّ ذرةٍ في هذا الكون الفسيح، وكل نبضة في قلب الإنسان، وكل قطرة ماء تسقط من السماء، وكل حركة للهواء، وكل موجة في البحار، وكل ورقة في الأشجار... إلخ، كلها تنطق بالإتقان، وتنادي: لا إله إلا الله.

قال تعالى: (...فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) (المؤمنون: ١٤). فلنتأمل صنع الله، ولنحمده على نعمه، ولنسعَ إلى أن نتقن أعمالنا ونحسن عباداتنا، فإنه لا يليق بمن خلقه الله في أحسن تقويم أن يكون مهملًا أو متكاسلًا.

قصص ونماذج

من إتقان الصالحين والمصلحين

إتقان سيدنا نوح (عليه السلام) في بناء السفينة

أمر الله تعالى سيدنا نوح (عليه السلام) ببناء سفينة ضخمة لنجاة المؤمنين، أتقن بناءها على الرغم من أنه لم يكن نجارًا محترفًا من قبل، ولكن بإلهام الله وتعليمه، فبنى سفينة عظيمة بدقة شديدة تناسب مهمة عظيمة:

قال الله تعالى: (وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ. فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ. حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ. وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ. وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ. قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ. وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (. قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ. قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ. تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) (هود: ٣٦-٤٩).

-كان يبنيها بإخلاص، وصبر طويل على الرغم من سخرية قومه، وهكذا نتعلم الصبر على العمل، والاهتمام بأدق تفاصيل المهمة وإتقان العمل مهما كانت صعبة.

إتقان سيدنا إبراهيم (عليه السلام) في بناء الكعبة

حين أمر الله (سبحانه وتعالى) سيدنا إبراهيم الخليل ببناء بيت الله الحرام، أتمه مع ابنه إسماعيل (عليهما السلام) بإتقان وإخلاص. قال تعالى: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة: ١٢٧).

(٦) أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير.

فكان يرفع القواعد بدقة، ويبنى بأمانة، وهو يقول: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

لم يكتف خليل الله إبراهيم (عليه السلام) بأداء المهمة، بل أتمها بإتقان ورفعة، فلما أمره الله ببناء البيت الحرام، لم يبنِه فقط، بل رفع قواعده مع ابنه إسماعيل (عليه السلام) بدقة وإخلاص، في مشهد من مشاهد التجرد والتفانى في طاعة الله.

ولم يرفع البناء فحسب، بل رفع الدعاء أيضًا، دعاء القبول والتجرد من العُجب والرياء، فكان الإتقان عنده مزدوجًا: إتقان في العمل، وإخلاص في النية.

إتقان سيدنا يوسف (عليه السلام) فى إدارة شؤون مصر

جمع سيدنا يوسف (عليه السلام) بين الحفظ والعلم والأمانة والخبرة، وعندما عرض عليه عزيز مصر منصبًا رفيعًا، لم يتردد يوسف عليه السلام، بل طلب المهمة بثقة في كفاءته ونزاهته؛ لأنه كان أجدر الناس بها؛ بل كان طوق النجاة، وهذا ما حدث بالفعل، فقال: (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) (يوسف: ٥٥).

تولى إدارة خزائن الأرض بإتقان قلّ نظيره، واستطاع بتدبيره الحكيم أن ينقذ البلاد من سبع سنوات من المجاعة القاسية.

كان أنموذجًا في التخطيط الاقتصادي الرشيد والإدارة الفعالة، فرأينا في سيرته كيف يكون المسؤول مسؤولًا مُحسنًا ومدبرًا فذًّا. تولى إدارة شؤون الخزائن والاقتصاد في مصر بإتقان عظيم، وهكذا فإن الأنبياء لا يتقنون العبادة فقط، بل يتقنون العمل المدني والاقتصادي أيضًا، فالإتقان في الإدارة وحسن التصرف من صفات الأنبياء والصالحين المصلحين.

إتقان سيدنا موسى (عليه السلام) في تبليغ الرسالة والدعوة بالحكمة والحنكة والبيان

عندما أرسل اللهُ (سبحانه) سيدَنا موسى (عليه السلام) إلى فرعون، كانت مهمته من أعظم المهام وأشدّها خطرًا، فقد بُعث إلى طاغية يدّعى الألوهية، ويملك جيشًا كبيرًا وسلطة وقوة، ويبطش بكل مَن يعارضه. ومع ذلك، لم يتهيب موسى (عليه السلام) المقام، بل توجه إلى الله (تعالى) يسأله المعونة العون على أداء الرسالة بأقصى درجات الإتقان.

طلب من ربه أن يشرح صدره، ويسهّل أمره، ويُطلق لسانه؛ ليكون بيانه واضحًا مؤثرًا، وأن يشدد أزره بأخيه هارون، قال تعالى: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي.وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي .كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا .وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا .إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا. قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ) (طه: ٢٥-٣٦). وهذا يدلّ على أن الإتقان يبدأ من الإعداد الجيد، ومن التوجه إلى الله طلبًا للتوفيق والتيسير.

وحين وقف أمام فرعون، قدّم دعوته بحجة واضحة، ومعجزة بيّنة، وكلمة لينة، كما أمره الله: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ) (طه: ٤٤).

فلم يكن غليظًا ولا متسرعًا، بل كان متأنيًا حليمًا، يستخدم العقل والمنطق والرحمة في خطابه، ويوازن بين وضوح الرسالة وبين الأسلوب اللائق بالمقام.

وعلى الرغم مما لقيه من عناد فرعون وتهديداته، فإنه لم يتراجع؛ بل استمر بثبات وإتقان عظيم، يدعو إلى الله دون كلل، ويتحمّل الأذى من قومه، ويقود بنى إسرائيل في مراحل صعبة ومعقدة، حتى صار من أولي العزم من الرسل، وأكرمه الله بمقام عالٍ، فقال سبحانه: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا) (النساء: ١٦٤).

إن الإتقان في تبليغ الرسالة لا يقتصر على قوة البيان، بل يشمل التهيئة النفسية، وضبط الانفعالات، والتخطيط الحكيم، والصبر على النتائج، مع الالتجاء الدائم إلى الله بطلب التوفيق والسداد والمعونة والتيسير. إنها دعوة إلى

كل من يحمل رسالة – دعوية أو تربوية أو علمية أو مهنية– أن يسير على خُطى السادة الأنبياء في الإخلاص والإتقان والحكمة الرحمة.

إتقان سيدنا محمد (ﷺ) في الدعوة والحياة

كان النبي العظيم (ﷺ) أنموذجا في الإتقان والإحسان في كل شيء، ونطوف سريعا في إتقانه في بعض المجالات [٧]:

- **إتقان العبادة**: كان النبي (ﷺ) يصلي من الليل حتى تتورم قدماه، مع الخشوع الكامل.
- **إتقان الدعوة**: بلّغ النبي العظيم (ﷺ) الرسالة بأكمل وجه، وقال في حجة الوداع: (...أَلَا هلْ بَلَّغْتُ؟ قالوا: نَعَمْ، قالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ –ثَلاثًا–...)[٨].
- **إتقان المعاملات**: كان تاجرًا صادقًا أمينًا قبل البعثة وبعدها.
- **إتقان القيادة**: كان ينظم الجيش ويوزع المهام بدقة في الغزوات.
- **إتقان التعامل مع الناس**: كان يعدل بين أصحابه، ويؤلف بين قلوبهم.

ويبقى الإتقان في العبادة والمعاملة والعمل سمة أساسية للمؤمن الكامل الاقتداء بالنبي (ﷺ) وبالأنبياء عليهم السلام الذين كانوا قدوات كبرى في الإتقان في كل شيء.

قصة ملهمة من النبي في صناعة الإتقان:

ورد أنَّ رجلًا من الأنصار أتَى النَّبيَّ (ﷺ) فسأله فقال أما في بيتِك شيءٌ قال بلى حِلسٌ نلبسُ بعضَه ونبسطُ بعضَه وقعبٌ نشربُ فيه من الماءِ.

قال ائتني بهما فأتاه بهما فأخذهما رسولُ اللهِ (ﷺ) بيدِه، وقال مَن يشتري هذَيْن؟

قال رجلٌ أنا آخذُهما بدرهم.

قال رسولُ اللهِ (ﷺ) مَن يزيدُ على درهم مرَّتَيْن أو ثلاثةً؟

قال رجلٌ أنا آخذُهما بدرهَيْن فأعطاهما إيَّاه، وأخذ الدِّرهَيْن فأعطاهما الأنصاريَّ، وقال اشتر بأحدِهما طعامًا فانبُذْه إلى أهلِك واشتر بالآخرِ قَدومًا فائتني به.

فأتاه به، فشدَّ فيه رسولُ اللهِ (ﷺ) عودًا بيدِه، ثمَّ قال اذهبْ فاحتطبْ وبعْ ولا أرينَّك خمسةَ عشرَ يومًا، ففعل، فجاء وقد أصاب عشرةَ دراهمَ، فاشترَى ببعضِها ثوبًا، وببعضِها طعامًا، فقال رسولُ اللهِ (ﷺ): (هذا خيرٌ لك من أن تجيءَ المسألةُ نُكْتَةً (أي علامة) في وجهك يومَ القيامةِ، إنَّ المسألةَ لا تصلُحُ إلَّا لثلاثٍ: **لذي فقر مُدقع** (أي شديد)، أو **لذي غُرم مفظع** (أي كبير)، أو **لذي دم موجع**) [٩] (أي عليه دية).

ومن هنا نلاحظ أن النبي (ﷺ) أراد أن يعالج مشكلة هذا الرجل ومَن على شاكلته علاجًا جذريًّا نهائيا يكفل له ديمومة الرزق، من خلال العمل واتقانه وتجويده، واتكاءً على نعمة الصحة والقوة والأعضاء التي أعطاه الله إياه، وتعميرا للأرض التي استخلفه الله عز وجل فيها، وتحصيلا لمكنونات الله ونعمه وكنوزه التي استودعها الله سبحانه وتعالى فيها للإنسان، واكتسابا للمال الحلال الذي ينفق منه الإنسان على نفسه وأهله، ويسهم به في مشروعات الخير لأمته، ومن هذا المال يؤدي فرائض الله؛ ويؤدي ما عليه من واجبات والتزامات سواء أكانت دينية أم دينوية..

---

(٧) من أراد الزيادة والإجادة والإفادة للتعرف على عظمة شخصية النبي العظيم (ﷺ) وتفرده وإجادة وإتقانه بشكل دقيق وموسع، فليطالع كتابنا: كيف نتوضأ بأخلاق النبوة؟ القاهرة: دار إشراقة، ٢٠٢٤م.

(٨) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٩) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب– خلاصة حكم المحدث: لا ينزل عن درجة الحسن وقد يكون على شرط الصحيحين أو أحدهما.

وقد صنع (ﷺ) يد القدوم بنفسه بإتقان وإحكام، ليساعد الرجل على ديمومة العمل، وليشير إلى ضرورة التواضع حيال العمل، وأنه لا غضاضة في هذا العمل ولا في غيره، طالما أنه من الأعمال الحلال ولكى يعلمه أيضا أيضا مبادئ الجودة والاتقان والإحسان.

ذو القرنين [١٠] أنموذج مثالي في إتقان العمل والحكم والبناء والتواضع:

يُعد العبد الصالح ذو القرنين من الشخصيات القرآنية التى ضرب بها الله المثل في القيادة الصالحة والتمكين الرشيد. وسمي ذا القرنين ؛ لأنه بلغ المشارق والمغارب ، من حيث يطلع قرن الشمس ويغرب [١١].

ومكن الله تعالى له وأعطاه ملكًا عظيمًا متمكّنًا، فيه من جميع ما يُؤتى الملوك، من التمكين والجنود وآلات الحرب والحصارات؛ ولهذا ملك المشارق والمغارب من الأرض، ودانت له البلاد، وخضعت له ملوك العباد، وخدمته الأمم، من العرب والعجم.

ولما سُئل سيدنا على رضى الله عنه، كما جاء في تفسير الإمام ابن كثير، عن ذي القرنين: كيف بلغ المشارق والمغارب؟ فقال: "سبحان الله، سخَّر له السحاب، وقدَّر له الأسباب، وبسط له اليد" نعم إنها إرادة الله.

تجسدت في قصته عظمة الإتقان في كل جوانب حياته: من إيمانه، مرورًا بحكمه وسياسته، وصولاً إلى تفوقه في البناء والعمارة. إنه النموذج الذي يتعين على المسلمين أن يقتدوا به في أداء المهام وتحقيق الأهداف.

أولاً: إتقان ذو القرنين في الحكم

كان ذو القرنين حاكمًا عادلًا، لا يظلم أحدًا ولا يفرط في حقوق الآخرين. حكمه كان يجسد التوازن بين الرحمة والردع، وأوضح ذلك قوله تعالى: (قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا. وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) (الكهف: ٨٧-٨٨).

هذا الموقف يعكس إتقانًا غير مسبوق في تطبيق العدالة، حيث كان ذو القرنين يردع الظالم ويكافئ الصالح، دون إفراط أو تفريط. كان حكمه ليس على الهوى، بل مستندًا إلى تقوى الله والعدل.

ثانيا: إتقان ذو القرنين في فهم حاجات الناس

عندما شكا إليه القوم من فساد يأجوج ومأجوج، لم يكتف بالاستماع لهم، بل درس الموقف وأدرك حاجتهم الحقيقية. ورفض رفضا قاطعا أن يجمعوا له من بينهم مالا يعطونه إياه ، حتى يجعل بينهم وبينهم سدا، ولكنه قال لهم بعفة وديانة وصلاح وقصد للخير: إن الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه، الذي أنا فيه خير من الذي تبذلونه، ولكن ساعدوني بقوة، أي: بعملكم وآلات البناء. ثم وضع خطة محكمة لحل المشكلة، فقال: (...فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) (الكهف: ٩٥).

لم يكن مرتجلًا في اتخاذ قراراته، بل كان منظّمًا، واعتمد على التفكير الدقيق والتخطيط المدروس. هذا يظهر بوضوح كيف كان ذو القرنين يتقن كل خطوة يتخذها من أجل صالح الناس.

ثالثًا: إتقان ذو القرنين في البناء والعمارة

إحدى أبرز مظاهر إتقان ذو القرنين ظهرت في بنائه للسد الذي يمنع يأجوج ومأجوج من الفساد في الأرض. استخدم في ذلك أحدث الوسائل المتاحة في عصره: الحديد، والنحاس المصهور، كما قال تعالى: (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) (الكهف: ٩٦).

---

(١٠) عندما طالع شيخي الفاضل (حفظه الله) هذه الخطبة قبل نشرها، كتب لي الرسالة التالية: "هذه ليست خطبة جمعة عادية، هذا بحث علمي راقي. وأتمنى أن تطبع وتوزع في إدارات الجودة؛ لتكون مرجع لمعايير الجودة الشاملة والأداء. تحياتي وتقديري ودعواتي لشخصكم الكريم".

ثم هاتفني وقال لي: يا دكتور أحمد، لا يمكن أن نتحدث عن الإتقان دون أن نتناول قصة ذي القرنين، وبعد أن نشرت الموضوع، قمت بكتابة القصة والدروس والعبر المستفادة منها. فجزى الله شيخنا كل خير..

(١١) (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ) أي فسلك طريقا حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب ، وهو مغرب الأرض. وأما الوصول إلى مغرب الشمس من السماء فمتعذر.

يقول السعدي في تفسيرة للآآة الكريمة: (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ) أي: قطع الحديد، فأعطوه ذلك، (حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ) أي: الجبلين اللذين بنى بينهما السد (قَالَ انْفُخُوا) النار أي: أوقدوها إيقادا عظيما، واستعملوا لها المنافيخ لتشتد، فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس، الذي يريد أن يلصقه بين قطع الحديد (قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) أي: نحاسا مذابا، فأفرغ عليه النحاس المذاب بالنار، فاستحكم السد استحكاما هائلا، وامتنع من وراءه من الناس، من ضرر يأجوج ومأجوج.

كان السد محكمًا متينًا، عجز عنه أعداء الله أن يتجاوزه أو ينقبوه. (فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) فما استطاع يأجوج ومأجوج أن يصعدوا فوق هذا السد ولا قدروا على نقبه من أسفله ولا على شيء منه؛ لإحكامه وإتقان تشييده وقوته.

وهذه الآية الكريمة تؤكد أن ذو القرنين كان يتمتع بمستوى عالٍ من الإتقان الهندسي والعماري.

رابعا: إتقان ذو القرنين في تواضعه

وعلى الرغم من التمكين العظيم الذي مَنَّ الله به على ذي القرنين، وأتم هذا العمل العظيم، فإنه لم ينسب الفضل لنفسه، بل أرجع الفضل كله إلى الله (سبحانه وتعالى)، قائلاً: (قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي..) (الكهف: ٩٥).

وهذه صفة الصالحين إذا أُنعِم عليهم، زادهم ذلك تواضعًا وشكرًا، بخلاف أهل الكبر كقارون الذي قال جاحدا: (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي...) (القصص: ٧٨)، حين أنعم الله عليه بالكنوز.

وإتقان ذو القرنين هنا يظهر في تواضعه وحسن نسبة الفضل إلى الله، ما يعكس صدقه في العمل واعترافه بأن النجاح لا يأتي إلا بتوفيق الله ورحمته.

قال تعالى: (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) (الكهف: ٩٨)، أي إذا جاء الوقت المقدر لخروج يأجوج ومأجوج، جعل الله ذلك السد المتين، مدكوكًا مهدومًا مستويًا بالأرض، وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا، فهو القادر على كل شيء، وبيده مقادير كل شيء.

وهكذا: إن قصة ذو القرنين تقدم لنا درسًا عظيمًا في الإتقان، حيث تجمع بين القدرة على التخطيط، وتنفيذ الأعمال على أكمل وجه، مع الحرص على العدالة والتواضع. المسلم الحق هو من يسعى للإتقان في كل جانب من جوانب حياته، متأسّيًا بأمثال الأنبياء والصالحين، ومؤمنًا بأن الله يحب من عباده أن يتقنوا أعمالهم.

نماذج من إتقان الصحابة (رضي اللّه عنهم)

إتقان أبي بكر الصديق (رضى الله عنه) فى تحمل مسؤولية الخلافة

لما توفي النبي (ﷺ)، اضطرب المسلمون، حتى قال بعضهم: "مات رسول الله!" وقال عمر: "ما مات رسول الله"!

فوقف أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) بثبات وإتقان للموقف العصيب، وقال قولته الخالدة: "أَمَّا بَعْدُ، فَمَن كَانَ مِنكُم يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فإنَّ مُحَمَّدًا صلَّى اللهُ عليهوسلَّمَ قدْ مَاتَ، ومَن كانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فإنَّ اللَّهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، قالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران: ١٤٤)، واللَّهِ لَكأنَّ النَّاسَ لَمْ يَكونُوا يَعْلَمُونَ أنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهَا حتَّى تَلاهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عنه، فَتَلَقَّاهَا منه النَّاسُ، فَما يُسْمَعُ بَشَرٌ إلَّا يَتْلُوهَا" [١٢]. يقول السعدي في تفسيره للآية الكريمة: ليس ببدع من الرسل، بل هو من جنس الرسل الذين قبله، وظيفتهم تبليغ رسالات ربهم وتنفيذ أوامره، ليسوا بمخلدين، وليس بقاؤهم شرطا في امتثال أوامر الله، بل الواجب على الأمم عبادة ربهم في كل وقت وبكل حال.

(١٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

تولى الخلافة بعد بيعة الصحابة له، فأظهر إتقانًا بالغًا في القيادة، فواجه أخطر التحديات:

- ارتدت قبائل عن الإسلام،
- وادعى النبوة مدّعون كاذبون،
- وامتنع بعض الناس عن دفع الزكاة.

فوقف أبو بكر وقفة حاسمة، وقال كلمته المشهورة التى سجّلها التاريخ:

عن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال: "لَمَّا تُوُفِّيَ رَسولُ اللَّهِ (ﷺ) واسْتُخْلِفَ أبو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وكَفَرَ مَن كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، قالَ عُمَرُ لأبِي بَكْرٍ: كيفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وقدْ قالَ رَسولُ اللَّهِ (ﷺ): أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، فمَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ ونَفْسَهُ، إلَّا بحَقِّهِ وحِسَابُهُ علَى اللَّهِ، فَقالَ: واللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَن فَرَّقَ بيْنَ الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ، فإنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، واللَّهِ لو مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إلى رَسولِ اللَّهِ (ﷺ) لَقَاتَلْتُهُمْ علَى مَنْعِهِ، فَقالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ ما هو إلَّا أنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قدْ شَرَحَ صَدْرَ أبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أنَّه الحَقُّ" (١٣).

قاد أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) حروبَ الردة بحزم وعدل، واستطاع أن:

- يعيد للأمة وحدتها،
- واستقرارها،
- ويثبت مبادئ الشريعة وهيبة الدولة.
- كما أرسل جيوش الفتح إلى العراق والشام، ومهّد الطريق لعصر الانتصارات في عهد عمر بن الخطاب.

وتعلمنا من دروس التاريخ أن القيادة الحكيمة المتقنة تظهر وقت الشدة، حين يضطرب الناس وتتكاثر الأزمات، وقد ضرب سيدنا أبو بكر أروع الأمثلة في الثبات، والإتقان في الإدارة، والقدرة على اتخاذ القرارات المصيرية بقوة قلب، ونور إيمان... وكان حياته تمثل إتقانا في القيادة والثبات في المحن، وإتقانا إدارة الأزمات الكبرى بهدوء وإيمان، وإتقانا في الرحمة والمرحمة والتراحم في الوقت نفسه.

إتقان عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فى الحكم والعدل والإدارة

اشتهر الفاروق عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) بالعدل الذي صار مضربًا للأمثال، وكان أنموذجًا في الإتقان الإداري، والرقابة الصارمة على شؤون الدولة.

كان قليل النوم ،كثير السهر على راحة الرعية، يتفقد أحوالهم بنفسه ليلًا ونهارًا، وكان يقول: "لو تعثرت بغلة في العراق، لخشيت أن يسألنى الله عنها، لِمَ لم تُمهّد لها الطريق يا عمر؟" يا له من إنسان عادل، يا له من إنسان رحيم، يحمل هم الجميع حتى الدوام التى تسير في طرقات العراق!.

- أتقن تنظيم الدولة الإسلامية،
- ووضع لها الأسس الإدارية التى كانت تعد متقدمة وقتذاك،
- فأنشأ الدواوين (كالوزارات اليوم) لضبط شؤون الدولة،
- ونظم جيوش المسلمين وفق هيكلة دقيقة،
- ورتب لهم أرزاقهم وسجلاتهم،
- واهتم بتسجيل كل أمر إداري.
- كان ينزل إلى الأسواق بنفسه يراقب الأسعار ويتابع أحوال الناس، ويُحاسب التجار على الغش والاحتكار،

(١٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

- وكان يُخضع الولاة لمتابعة دقيقة ويسألهم باستمرار: ماذا فعلت بأمانتك؟ كيف حال الناس في ولايتك؟.
- ومن شدة عدله، لم يتردد في معاقبة ابنه عندما أخطأ.

ومن شدة تواضعه وإيمانه وخوفه من الله قال قولته الشهيرة: "لو أن الناس هلكوا إلا واحدًا لظننت أنه أنا".

وتبقى سيرته الجميلة الجليلة مصدرا للإلهام والإتقان الحقيقي في المسؤولية لا بكثرة الكلام، وإنما بصدق العمل، والعدل الصارم، والرقابة الدقيقة، ومحاسبة النفس، والخوف البالغ من الله (سبحانه وتعالى) في كل موقف.

إتقان زيد بن ثابت (رضى الله عنه) فى تعلم لغة اليهود وفى جمع القرآن

- كان سيدنا زيد بن ثابت (رضى الله عنه) شابًا نابغًا في عصر النبوة، جمع بين الذكاء والطاعة والإخلاص ومحبة النبى (ﷺ)، فكان أنموذجًا راقيًا للشاب المسلم الذي يسخِّر علمه ومهاراته وخبراته في خدمة دينه ونبيه.

تجلت صور إتقانه حينما هاجر النبى (ﷺ) إلى المدينة، وكان يرد عليه اليهود بالكتب والرسائل بلغاتهم الخاصة، فخشى النبى (ﷺ) أن يُدخلوا في كلامهم تحريفًا أو كذبًا، وهم مَن هم، إنهم أهل المكر والفتن والخداع!.

فما كان منه إلا أن التفت إلى زيد بن ثابت، وطلب منه أن يتعلم لغة يهود، فلم يتردد زيد لحظة، بل استجاب فورًا، وبدأ يتعلم اللغة الجديدة بعزم وجد.

وبهمة عالية، تعلم زيد لغة اليهود في وقت قياسى، تعلمتها في سبعة عشر يومًا. متقننا القراءة والكتابة بها، فصار يقرأ للنبى (ﷺ) رسائل اليهود ويكتب لهم الردود، بدقة وأمانة.

إن ما أظهره زيد في هذا الموقف من سرعة استجابة، وإتقان في التعلم، ودقة في الأداء، يدل على مستوى راقٍ من الوعى والعزيمة، وكيف أن المسلم الحق يوظف طاقاته لخدمة دينه. لم يتعلم اللغة للوجاهة أو الثقافة، بل ليدفع عن الإسلام شر التحريف والمكر، وليكون أداة أمينة في يد النبى (ﷺ).

- ثم تتجلى صورة أخرى من صور إتقانه حين كُلِّف بمهمة عظيمة جد عظيمة بعد وفاة سيدنا النبى (ﷺ)، وذلك حين استُشهد عدد كبير من حفظة القرآن الكريم في معركة اليمامة، فخشى الصحابة أن يُفقد القرآن بموت الحفاظ، فاجتمع رأيهم على جمع القرآن مكتوبًا في مصحف واحد. وكان الخليفة أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) هو من أمر بذلك، فاختار زيد بن ثابت (رضى الله عنه) لهذه المهمة الجليلة، لما عرف فيه من إتقان حفظه ودقته وأمانته.

ولما كُلّف زيد بهذه المهمة، قال قولته المشهورة: "والله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن".

فعن زيد بن ثابت (رضى الله عنه) قال: "أَرْسَلَ إِلَيَّ أبو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ عِنْدَهُ، قالَ أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْه: إنَّ عُمَرَ أتَانِي فَقالَ: إنَّ القَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَومَ اليَمَامَةِ بقُرَّاءِ القُرْآنِ، وإنِّي أخْشَى أنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بالقُرَّاءِ بالمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ القُرْآنِ، وإنِّي أرَى أنْ تَأْمُرَ بجَمْعِ القُرْآنِ، قُلْتُ لِعُمَرَ: كيفَ تَفْعَلُ شيئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسولُ اللَّهِ (ﷺ)؟ قالَ عُمَرُ: هذا واللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لذلكَ، ورَأَيْتُ في ذلكَ الذي رَأَى عُمَرُ، قالَ زَيْدٌ: قالَ أبو بَكْرٍ: إنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لا نَتَّهِمُكَ، وقدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ، فَوَاللَّهِ لو كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ ما كانَ أثْقَلَ عَلَيَّ ممَّا أمَرَنِي به مِن جَمْعِ القُرْآنِ، قُلْتُ: كيفَ تَفْعَلُونَ شيئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسولُ اللَّهِ (ﷺ)؟، قالَ: هو واللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ أبو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ له صَدْرَ أبِي بَكْرٍ وعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنْهمَا، فَتَتَبَّعْتُ القُرْآنَ أجْمَعُهُ مِنَ العُسُبِ واللِّخَافِ، وصُدُورِ الرِّجَالِ، حتَّى وجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مع أبِي خُزَيْمَةَ الأنْصَارِيِّ لَمْ

أجِدْهَا مع أحَدٍ غيرِه، (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسولٌ مِن أنْفُسِكُمْ عَزيزٌ عليه ما عَنِتُّمْ) حتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أبِي بَكْر حتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بنْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنْه" (١٤).

بدأ زيد بن ثابت في العمل بمنهجية دقيقة، فلم يكن يكتب آية واحدة إلا إذا وجد معها شاهدين يشهدان بأنها نزلت على رسول الله (ﷺ)، وجمع القرآن من صدور الرجال ومن الصحف والرقاع والعظام وجريد النخل، حتى أكمل جمعه بإتقان لا مثيل له. وهكذا حُفظ القرآن الكريم، وبقى كما أُنزل على قلب سيدنا محمد (ﷺ)، محفوظًا من التبديل والتغيير.

لقد جمع زيد بين العبادة والعلم والعمل، فكان من أوفى الناس برسالة النبى، وأخلصهم لخدمة الدين، وأدقهم في حمل أمانة كتابة القرآن العظيم.

فيا شباب الأمة، إن كنتم تريدون النجاح في دنياكم وآخرتكم، فانظروا إلى زيد بن ثابت، واسلكوا طريقه، فهو ليس مجرد صحابي، بل هو مدرسة متكاملة في الإتقان.

نماذج من إتقان أمهات المؤمنين (رضي الله عنهن)

إتقان السيدة خديجة بنت خويلد (رضى الله عنها) فى التجارة والدعم الدعوى:

كانت السيدة خديجة ((رضى الله عنها)) من أوائل النساء تميزًا في ميدان التجارة، اشتهرت في الجاهلية بصدقها وأمانتها، وكانت تدير تجارتها ببراعة قلّ نظيرها، حتى لقبت بـ"الطاهرة".

وحين تزوجها النبى (ﷺ)، ظلت تدير شؤون تجارتها بكفاءة، وازداد رزقها واتسعت مكانتها، ولكن الأهم من ذلك أنها وظّفت هذا النجاح المادي في خدمة أعظم رسالة.

فما أن بعث الله نبيه (ﷺ) حتى كانت أول من آمن به، وآزرته في أشد المواقف، وكرّست مالها وجهدها وقلبها لنصرته، حتى قال عنها النبى (ﷺ): (قد آمَنَتْ بِي إذ كفَرَ بِي الناسُ، وصدَّقَتْنِي إذ كذَّبَنِي الناسُ، وواسَتْنِي بمالِها إذ حرَمَنِي الناسُ، ورزَقَنِي اللهُ عزَّ وجلَّ ولَدَها إذ حرَمَنِي أولادَ النِّساءِ) (١٥).

كان عطاؤها إتقانًا في الوفاء، وإخلاصًا في الدعم، وفهمًا عميقًا لطبيعة المرحلة.

إتقان السيدة عائشة بنت أبى بكر (رضى الله عنها) فى العلم والرواية:

برزت السيدة عائشة (رضى الله عنها) في سماء العلم برزوعًا باهرًا، فكانت من أعلم نساء الأمة، بل من أعلم الصحابة أنفسهم.

روت عن سيدنا النبى (ﷺ) ما يزيد على ألفين ومئتى حديث، وكان علمها لا يقف عند حدود الرواية فقط، بل تجاوز إلى فهم الأحكام، واستنباط الدقائق، وشرح المسائل المعقدة.

قال فيها عروة بن الزبير: "ما رأيت أحدًا أعلم بفقه، ولا بطب، ولا بشعر من عائشة".

بل إن أم المؤمنين السيدة صفية (رضى الله عنها) أثنت عليها بقولها: "كانت عائشة أعلم الناس بالقرآن، والفرائض، والحلال والحرام، والشعر، والطب، وأنساب العرب".

لقد أتقنت عائشة (رضى الله عنها) العلم حفظًا، وفهمًا، وتعليمًا، حتى كان كبار الصحابة يرجعون إلى رأيها ويستنيرون بفقهها.

وإذا كان طلب العلم عبادة، ونقله أمانة، فإنها قد أتقنت هذا المسار، فجمعت بين الذكاء، والدقة، والورع، فكانت قدوة في التفوق العلمى للمرأة المسلمة.

إتقان أم سلمة (رضي الله عنها) في الحكمة والمشورة:

(١٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(١٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

في لحظة حرجة من لحظات الدعوة، يوم صلح الحديبية، دخل النبي (ﷺ) على أم سلمة (رضى الله عنها) مهمومًا، بعد أن أمر أصحابه بالحلق والنحر فلم يستجيبوا في البداية، فأشارت عليه برأي عظيم، قالت: "يا رسول الله، اخرج ولا تكلم أحدًا منهم، حتى تنحر بدنك وتحلق رأسك، فإنهم إن رأوك قد فعلت تبعوك".
ففعل النبي (ﷺ) ما أشارت به، فما كان من الصحابة إلا أن بادروا جميعًا في الطاعة، وانشرحت قلوبهم.
كانت أم سلمة في هذا الموقف قائدة بالفكر، ومستشارة بالإيمان، وحكيمة في تقدير النفوس ومجريات الأحداث.
وهكذا فإن الحكمة ليست حكرًا على الرجال فحسب، بل النساء أيضا، فقد أتقنت أم سلمة حسن التقدير في أصعب الأوقات، وأنقذت الموقف بمشورة نافذة وعقل راجح.

***

نسأل الله أن يجعلنا من عباده المتقنين، المتفكرين في آياته، الشاكرين لأنعمه، العاملين بما يرضيه الذين يحبهم الله ويرضى عنهم.

أيها الأخوة المؤمنون: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) رسولُ الله عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله..يقول الحق (تبارك وتَعَالَى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢) أما بعد..

قيمة العمل في الإسلام

ورد لفظ العمل في القرآن الكريم كثيرا.. وهذا يدل على مدى عناية القرآن الكريم بالعمل وأن يكون الإنسان في عمل دائم سواء الأعمال التعبدية أو الحياتية، ولم يقتصر الأمر على الكم فقط، وإنما ركز على الكيف حيث نجد أن لفظ العمل موصوفاً بالعمل الصالح ومقترناً بالإيمان والإحسان كثيرا أيضا.

وهكذا ينظر الإسلام إلى العمل باعتباره قيمة أساسية من القيم التى بُنى عليها هذا الدين الحنيف، وجعل العبادة والعمل وجهين لعملة واحدة، ومن ثم فلا يكمل إيمان المرء إلا بامتزاج العمل مع العبادة في بوتقة توازنية، تراعى متطلبات الإنسان الدينية والدنيوية..

ظهر ذلك جليا في النصوص الدينية التى أسست لهذه القيمة تأسيسا أبهر الدنيا كلها، وطبق روحها غير المسلمين، وللأسف الشديد كان تطبيق المسلمين لهذه القواعد محدودا، ومن ثم صدق قول القائل: "في الغرب الإسلام العملى، وفي بلاد المسلمين الإسلام النظري".

والعمل يطلق على كل ما يشمل عمل الدنيا والآخرة.

فعمل الآخرة: يشمل طاعة الله وعبادته والتقرب إليه.

أما عمل الدنيا: فيطلق على كل سعى دنيوي مشروع، ويشمل ذلك العمل اليدوي والحرف والصناعة والزراعة والصيد والتجارة والرعى والتعليم والطب والهندسة وغير ذلك من الأعمال.

والناظر في النصوص الدينية قرآنا وسنة قولية وعملية يلاحظ اهتمام الإسلام بالعمل، من خلال مبدأين مهمين:

الأول: أنه جعل العمل أساس الكسب، وأنه على المسلم أن يمشي في مناكب الأرض، ويبتغى من فضل الله، يقول تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك: ١٥) ويقول (ﷺ): (لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ له مِن أنْ يَسْأَلَ أحَدًا، فيُعْطِيَهُ أوْ يَمْنَعَهُ) (١٦).

(١٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

وتأكيد على هذا المبدأ جعل النبى (عليه السلام) من يخرج ليعمل ويكسب من الحلال؛ فيعف نفسه أو ينفق على أهله، كمن يجاهد في سبيل الله.

ولقد مرَّ على النَّبيّ (ﷺ) رجلٌ فرأى أصحابُ رسولِ اللهِ (ﷺ) من جلَدِه ونشاطِه فقالوا يا رسولَ اللهِ ! لو كان هذا في سبيلِ اللهِ فقال رسولُ اللهِ (ﷺ): (إن كان خرج يسعَى على ولدِه صِغارًا فهو في سبيلِ اللهِ وإن كان خرج يسعَى على أبوَيْن شيخَيْن كبيرَيْن فهو في سبيلِ اللهِ وإن كان خرج يسعَى على نفسِه يعفُّها فهو في سبيلِ اللهِ وإن كان خرج يسعَى رياءً ومُفاخَرةً فهو في سبيلِ الشَّيطانِ) (١٧).

المبدأ الثاني: أن الأصل في سؤال الناس هو الحرمة، وقد حذَّر النبى (ﷺ) من المسألة، وبالغ في النهى عنها والتنفير منها، فقال (ﷺ): (اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وابْدَأْ بمَن تَعُولُ، وخَيْرُ الصَّدَقَةِ عن ظَهْرِ غِنًى، ومَن يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، ومَن يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ) (١٨).

إن المجتمعات المتقدمة ما تقدمت إلا بالعمل الدؤوب.. فالكل يعمل ويجد ويجتهد ويتقن عمله، والطفل ينشأ في بيئة كلها عمل ونشاط وإبداع، فينشا على هذه القيمة وقد ترسخت في وجدانه.

وقيل: إن شعبا كالشعب الياباني مثلا إذا أراد أن يُبدى اعتراضا على أداء حكومته، فإنه يعمل ويزيد ساعات العمل؛ حتى يزيد الإنتاج ومن ثم تعجز الحكومة هناك عن توفير أماكن لتخزين المنتجات الجديدة في بلد يعاني أساسا ضيق مساحته.. فترضخ الحكومة عندئذ لمطالب الشعب..!!.

الجودة قيمة إسلامية ومطلب إيماني

الجودة قيمة من قيم الإسلام، فهى ترتكز على الإتقان والإبداع والقوة والأمانة والتميز والإحسان في أسمى معانيه ومبانيه ومراميه.

وقد لا أكون مبالغاً إذا قلت إن الإسلام – عقيدةً وشريعة وأخلاقاً – وكفلسفةٍ للكون والإنسان والحياة، هو كمال الجودة وتمامها..

وكيف لا يكون الإسلام كمال الجودة والإبداع وهو دين الله (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ)(البقرة:١١٧).

إن الإبداع البشري هو أثر ومظهر من آثار الإبداع الربانى ومظاهره.. بل إنه وظيفة تكليفية ومسؤولية شرعية وليس خياراً بشرياً قبله الإنسان أو رفضه

وإذا كانت الجودة مظهر من مظاهر الإحسان ونتيجة من نتائجه.. لذلك فإن الإسلام دعوةٌ مطلقة إلى الإحسان:

وفي قوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) (الملك: ٢). إشارة واضحة إلى أن الجزاء يتعلق بكيفية الأداء كائناً ما كان هذا الأداء..

إن شكر الله على إبداع خلقه، يفرض على الإنسان أن يكون محسناً مبدعاً في عمله وصنعته ومهنته

إذن فمن البديهى أن يدعو المبدع جل وعلا إلى الإبداع وأن يحثَّ المحسن سبحانه إلى الإحسان.. وهذا شأن منهج الله في دعوته الإنسان إلى الجودة والإبداع والإحسان.. وصدق الله تعالى حيث يقول: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ) (النساء: ١٢٥)، حتى في مجال الكلام ومخاطبة الناس وهو أيضا من الأعمال أمرنا الله تعالى بتجويده، يقول تعالى: (وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً) (البقرة: ٨٣).

وفي الخطاب النبوي دعوة واضحة بينة إلى الجودة والإتقان والإبداع والإحسان..

---

(١٧) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب – رجاله رجال الصحيح، واخرجه الطبراني بلفظه.

(١٨) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

مثال ذلك في قوله (ﷺ): (إنَّ اللهَ تعالى يحبُّ إذا عملَ أحدُكمْ عملًا أنْ يتقنَهُ) (١٩).

إن شمولية المنهج الإسلامى وتغطيته لكل جوانب الحياة توكبها دعوة إلى الجودة والإتقان على نفس الامتداد والاتساع.. وبذلك يكون الإسلام هو منهج الجودة والإتقان في عموميات الحياة وفروعها وتفاصيلها..

ويجب أن نعترف نحن المسلمين أننا على جانب كبير من التقصير في الأخذ بأسباب الإتقان والجودة في كل جوانب عملنا.. فالمسلمون مطالبون بأن يحتكموا إلى موازين ومقاييس ومعايير الجودة التى لفت إليها، وأشار إليها، وحددها، وأوجبها، وحث عليها الدين الإسلامى الحنيف

نحن مطالبون بأن نتقن عبادتنا وأخلاقنا وأعمالنا ونجودها، وأن نحسن في أقوالنا وأفعالنا وخطابنا وأدائنا، وأن نتميز في مواقفنا وفي علاقاتنا.. وأن نتطور في تخطيطنا وتنظيمنا وإدارتنا، وأن نتقدم في إنتاجنا وعطائنا.

إن الإتقان والتقدم والتطور الذي يؤدي إلى الجودة يحتاج إلى التأهيل والتدريب كما يحتاج إلى العلم والخبرة. وبلوغ القمةِ يحتاج إلى الهمةِ كما يحتاج إلى الثقة والإيمان والإرادة. ويوم أن فعل المسلمون ذلك صنعوا حضارة عالمية زاهرة استفاد منها الشرق قبل الغرب..

الجودة والاتقان فى التجارة:

- قوله (ﷺ): (التَّاجرُ الصَّدوقُ الأمينُ مع النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداءِ) (٢٠).
- وقوله (ﷺ): (البيِّعانِ بالخيار ما لم يفترقا، فإن صدقا وبيَّنا بُورك لهما في بيعِهما، وإن كتَما وكذَبا مُحقَتِ البركةُ من بيعِهما) (٢١).
- يقول (ﷺ): (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إذا با عَ، وإذا اشْتَرَى، وإذا اقْتَضَى) (٢٢).

إحياء قيمة العمل في مجتمعاتنا المسلمة:

وازن الإسلام موازنة دقيقة بين العبادة وبين العمل، من خلال نصوصه ومبادئه الخالدة: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبد، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا"، ولنا أن نتأمل روعة السياق القرآني المعجز، وهو يأمر المسلمين بالإسراع في تلبية نداء الله لذكر الله وصلاة الجمعة، يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) (الجمعة٩) حيث عبر الله سبحانه وتعالى بالفاء في قوله: (فَاسْعَوْا) التى تفيد الترتيب والتعقيب، أي تفيد وجوب الإسراع في التلبية للذكر وللصلاة والعبادة.. ونتأمل السياق المعجز في قوله: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ)(الجمعة: ١٠). حيث عبر بالفاء أيضا في قوله: (فَانتَشِرُوا) التى تفيد أيضا الترتيب والتعقيب والإسراع، وكأن الله عز وجل يريد أن يؤكد لنا على ضرورة الإسراع إلى العمل، ويلفت أنظارنا إلى أن الانتشار السريع في الأرض لطلب الرزق بعد أداء صلاة الجمعة لا يقل أهمية عن السعى إلى صلاة الجمعة.. وقوله عز وجل (وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّنْ رَّبِّكُمْ) (الإسراء ١٢).

والناظر في المنهج الإسلامى في ترسيخ قيمة العمل في نفوس المسلمين، يلاحظ العظمة في إصرار الإسلام على القضاء على الكسل والدعة والتواكل، والدفع بأتباعه قدما نحو العمل الجيد والمتقن وعدم التوقف عنه مهما كانت الظروف والأحوال، يقول (ﷺ): (إنْ قامَتِ السَّاعةُ وبيَدِ أحَدِكُم فَسيلةٌ، فإنِ استَطاعَ ألَّا يقومَ حتى يَغرسَها فلْيَفْعَلْ) (٢٣). فيا لعظمة هذا الدين !! ويا لعظمة هذا النبى (ﷺ) !!.. القيامة تقوم ومن بيده فسيلة – أي شتلة– من المسلمين مأمورٌ بغرسها، كل ذلك لتكريس العمل الدائب المتواصل في نفوس المسلمين..!!.

(١٩) أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير

(٢٠) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب– إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما.

(٢١) أخرجه الإمامان: البخاري ومسلم، وأبو داود في سننه.

(٢٢) أخرجه الإمان البخاري في صحيحه.

(٢٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده

كما وجهنا ديننا الخاتم إلى جودة العمل وإتقانه، والبراعة فيه، والإبداع فيه، بل جعل الإسلام من يجود عمله ويتقنه من المحبوبين عند الله عز وجل يقول (ﷺ): (إنَّ اللهَ تعالى يحبُّ إذا عملَ أحدُكمْ عملًا أنْ يتقنَهُ)(٢٤).

وعلمنا ديننا أيضا أن من غرس غرسا أو زرع زرعا، فأكل منه إنسان أو دابة أو طير أو حتى سبع فهو له صدقة. وقياسا عليه فإن أي عمل نافع، يعمله المسلم واستفاد منه إنسان أو حيوان أو طائر أو غيره، كان له الأجر الكبير من الله سبحانه وتعالى.. وإن المسلم ليسأل عن وقته وعن ماله كما يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: (لا تَزولُ قَدَمَا عَبْدٍ يومَ القيامةِ، حتَّى يُسأَلَ عن عُمُرِه؛ فيمَ أفناه؟ وعن عِلْمِه؛ فيم فعَلَ فيه؟ وعن مالِه؛ من أين اكتسَبَه؟ وفيم أنفَقَه؟ وعن جِسمِه؛ فيمَ أبلاه؟) (٢٥).

بل إن الرسول (ﷺ) حذر من يترك العمل اكتفاء بما لديه من مال.

تنظيم الإسلام العلاقة بين العامل وبين صاحب العمل:

نظم الإسلام العلاقة بين العامل وبين صاحب العمل تنظيما أبهر رجال المال والأعمال والاقتصاد والإدارة في العالم، حيث جعل للعامل حقوقا على صاحب العمل، وجعل على العامل واجبات لرب العمل. فحقوق العامل تتمثل في الحقوق المادية ومن ذلك حقه في الحصول على أجر مناسب، وعدم التأخير في إعطائه أجره.

أما الحقوق البدنية فتتمثل في عدم تكليفه بعمل لا يقدر عليه، فالله سبحانه وتعالى لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وعدم الضغط عليه وعلى قدراته، وتوفير الوسائل المساعدة له من آلات ومعدات وغيرها، وله الحق في الراحة والرعاية الطبية.. وغيرها، أما الحقوق الاجتماعية فتتمثل في مشاركته في أفراحه وأتراحه، ومساعدته ومساعدة من يعول بالمساعدات المادية والعينية والمعنوية..

وإذا كان للعامل هذه الحقوق فإن عليه واجبات والتزامات من أهمها: أن يأتي إلى العمل مبكرا، ويحافظ على كل لحظة من لحظات العمل من لحظه حضوره إلى لحظة انصرافه؛ لأن هذا الوقت أمانة في عنقه وسيسأل عنه يوم القيامة، ويجب عليه أن يكون أمينا مع صاحب العمل في كل شيء، ومتقنا لعمله ومتميزا فيه ومجودا له ويعمل دائما على تطوير أداءه ومهاراته ومستواه، كما يجب عليه أن يحفظ أسرار العمل ولا يبدها لأحد إلا بإذن صاحب العمل، كما يجب عليه طاعته فيما لا يغضب الله، وأيضا تقديم المشورة والنصح له لأن الدين النصيحة..

فلابد إذن من وجود علاقة عادلة ومتوازنة بين أصحاب العمل والعمال حرصاً على استقرار العمل ودفعاً للإنتاج، فالعامل لن يعمل بإخلاص ويتفانى في عمله ويجود إنتاجه إلا إذا كان راضياً قانعاً واثقاً أنه سيحصل على حقوقه بعد أن يؤدي واجباته.ومن هنا فلابد من توفير ةلجع عفد يف مهسى لمعلا باحصأو لامعلل نمآ خانم ةيداصتقالا فادهألا قيقحتو جاتنإلا

العمل الجيد أهم ركيزة في الاقتصاد، وتظهر هذه الأهمية أيضاً على المستوى المؤسسى، ذلك أن نجاح أي مؤسسة مرهون بكفاءة العمل فيها.

إن ما يفرق بين الدول من حيث التقدم والتخلف الاقتصادي ليس هو الموارد المتوفرة لديها، بل كفاءة العاملين بها.. والإنسان هو الإنسان في العالم كله لديه طاقات كامنة، ونظم العمل وقوانينه في العالم كله متشابهة إلى حد كبير، فهى تصاغ وفق معايير وضعتها منظمة العمل الدولية، ومع كل ذلك نجد الدول تتفاوت فيما بينها من التقدم والتخلف الاقتصادي وذلك راجع بالدرجة الأولى إلى غياب أو تغييب القيم الإيجابية التى يمكنها تفجير الطاقات الإنسانية الكامنة.

كيف ينظر الإسلام إلى الأعمال الحرفية والمهنية؟

(٢٤) أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير

(٢٥) أخرجه الإمام الترمذي في سننه.

اشتغل الأنبياء والمرسلون عليهم السلام –وهم صفوة خلق الله– بالأعمال اليدوية والحرفية، ولم يزدهم هذا العمل إلا عز وفخرا وقربا من الله تعالى، حيث اشتغل سيدنا آدم بالزراعة، واشتغل نوح بالنجارة، وقد أمره الله بصنع السفينة ليركب فيها هو ومن آمن معه. وكان سيدنا إبراهيم يعمل تاجرا، واشتغل يعقوب وإسحاق وشعيب وموسى عليهم السلام برعى الغنم. وعمل إلياس نساجا، وكان سيدنا إدريس خياطًا، فكان يعمل بالخياطة، ولسانه لا يكفُّ عن ذكر الله؛ فلا يغرز إبرة ولا يرفعها إلا سبح الله؛ فيصبح ويمسى وليس على وجه الأرض أحد أفضل منه، وسيدنا داود مع أنه كان ملكا إلا أنه كان يأكل من عمل يده.. لقد كان داود (عليه السلام) يخرج متنكرا فيسأل عن سيرته من يراه من أهل مملكته، فتعرض له جبريل (عليه السلام) في صورة آدمى، فقال له داود عليه السلام: يا فتى ما تقول في داود؟ فقال: نِعم العبد هو غير أن فيه خصلة.

قال: وما هى؟ قال: يأكل من بيت المال وما في العباد أحب إلى اللَّه من عبد يأكل من كدّ يده. فعاد إلى محرابه باكيا متضرعا يقول: يا رب علمنى صنعة أعملها بيدي تغنينى بها عن بيت المال.

فعلمه اللَّه تعالى صنعة الدروع وألان له الحديد حتى كان في يده بمنزلة العجين، وكان إذا فرغ من القضاء وحوائج أهله صنع درعاً فباعها وعاش هو وعياله من ثمنها وفي ذلك يقول الله تعالى (وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ)، (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوس لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ) يعنى لتحفظكم من حربكم.

وعمل سيدنا محمد (ﷺ) برعى الغنم في صغره، ثم عمل في شبابه بالتجارة. هذا على مستوى الأنبياء. أما الصحابة الكرام –وهم صفوة الأمة الإسلامية– فقد عملوا أيضا بالحرف اليدوية، حيث عمل أبو بكر الصديق بتجارة الأقمشة، وعمل عثمان بن عفان بالتجارة، وعمل الزبير بن العوام خياطا، واشتغل سعد بن أبي وقاص نبالاً أي يصنع النبال، وعمرو بن العاص كان جزارا.. وهكذا فكلها مهن شريفة، ولو كان فيها ما يخدش الشرف أو الكرامة، ما عمل بها هؤلاء الأكرمون..

وبعد.. فهل هذه الأعمال عيبا؟ وهل فيها ما يخدش الشرف والسمعة؟ وهل هذه الأعمال مفيدة للمجتمع وسبيل لتقدمه أم لا؟ ولماذا تصر وسائل الإعلام في بلادنا على إظهارها بصورة دونية منفرة؟ ومن المستفيد الحقيقى من ذلك؟!

وعلى الرغم من أن هذه الأعمال هى الكفيلة بحل أزماتنا المجتمعية، وتحقيق التقدم والرفاهية للمجتمع، وبالرغم من أن الإسلام ينظر إلى هذه المهن نظرة تقدير واحترام

إن العمل الفنى واليدوي والحرفي كان ومازال المرتكز الأساس في بناء التقدم والنهضة في البلدان المتقدمة، لذلك فإنها يهتمون بالتعليم الفنى، وتنميته وتطويره بصورة دائبة، لضمان ديمومة التقدم والازدهار في بلادهم.. فهل نفيق من نومنا، ومتى نستيقظ من سباتنا ؟!

كيف تربي النشء على قيم الاتقان؟

لابد من العمل الجدي لترسيخ هذه المبادئ التى أشرنا إليها في نفوس أولادنا وشبابنا، من خلال تضمين هذه المبادئ في المناهج الدراسية، وإبرازها من خلال القدوة العملية، ومن خلال وسائل الإعلام في القوالب الإعلامية المختلفة، خصوصا القالب الدرامى الذي يتميز بالإقبال الشديد عليه وتأثيره الكبير على المتلقى، وتكثيف الزيارات المدرسية لبيئات العمل بحيث ينشأ أطفالنا على حب العمل والإنتاج، ولابد من الاهتمام بالتربية العملية والتدريب العملى –الحقيقى وليس الصوري – في شتى المجالات، كما أن على المؤسسات الدينية والجامعات دورا كبيرا في إحياء قيمة العمل، ومحاربة الكسل والدعة والتواكل من نفوس الشباب، وعمل حملة منظمة لحصر شتى المواد والمضامين الإعلامية التى تقلل من شأن المهن والحرف اليدوية وتحتقرها أو تحتقر من يعمل فيها، واستبدالها بما يحفز الشباب نحو هذه الأعمال، وتوجيه التعليم نحو التعليم الفنى والمهنى الذي قامت عليه نهضة الأمم والمجتمعات المتقدمة والاهتمام به وحل مشكلاته والقضاء على كل العقبات التي تقف حجر عثرة في طريقه، مع

إبراز أن هذه المهن والحرف اليدوية قد اشتغل بها الأنبياء وهم صفوة خلق الله.. ولابد لنا نحن المسلمين أن نبرز هذه المبادئ وكنوز التشريع الإلهى الخالد للعالم كله، كما يجب على الشباب المسلم في البلاد غير الإسلامية أن يطبق المبادئ السالفة، وينتهج العمل منهاجا لحياته حتى ينهض بالمجتمع الذي يعيش فيه، ويوضح لهذا المجتمع بطريقة عملية أن دينه العالمى الخالد كفيل بالإصلاح.. كل الإصلاح على شتى المستويات..

الخطوات العملية لتربية الأولاد على قيمة الإتقان

إن تربية الأولاد على الإتقان والإحسان والتجويد والإحكام والإبداع تثمر شخصيات ناجحة، مؤمنة، مسؤولة، تعرف كيف تعمّر الأرض بطاعة الله (تعالى)، وتجعل الإتقان سلوكًا دائمًا في أعمال الدين والدنيا معًا.
قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) (النحل: ١٢٨). أي: معهم بتأييده ونصره ومعونته وهذه معية خاصة.
ولكى نربي أولادنا على قيمة الاتقان، فلابد من مراعاة ما يلى:

١- القدوة الصالحة
فالطفل لا يسمع فقط، بل يرى ويقلِّد، ومن ثم يجب على الوالدين أن يكون كل منهما قدوة في إتقانه لعمله، وكلامه، وعبادته أمام أولادك. دعهم يرونك تصحّح خطأك بنفسك دون تهاون، فهذا يغرس فيهم حب الإتقان.

٢- غرس المعنى الإيماني للإتقان
علِّمهم أن الإتقان عبادة، وأن الله يحب المحسنين والمتقنين، واربط الإحسان برضا الله لا برضا الناس فقط.

٣- التدريب العملي منذ الصغر
اجعل طفلك يشارك في مهام يسيرة كترتيب غرفته أو إعداد واجباته بإتقان، ولا تكتفِ بإنجاز العمل، بل راقب الجودة، وشجعه على تحسين أدائه.

٤- التشجيع والثناء المناسب
امدح الجُهدَ المبذولَ لتحقيق الإتقانِ، لا النتيجةَ فقط، وقل له: «أعجبنى أنكَ راجعتَ واجبَك مرتين»، أو: «ممتازٌ أنكَ اهتممتَ بالتفاصيل».

٥- تعليم الصبر وعدم العجلة
بيّن لهم أن الإتقان يحتاج إلى وقت وصبر، وأن التسرّع يورث الخطأ، اضرب أمثلة عمليّة مثل: دقة الحرفيين، أو تجارب العلماء.

٦- القصة والتربية بالمواقف
استخدم القصص الملهمة مثل:
- إحسان يوسف (عليه السلام) في عمله رغم الظلم.
- حرص النبيّ (ﷺ) على إحكامِ بناءِ المسجدِ النبوي، وعلى تعليم الصحابةِ، وعلى اختيار الرجل المناسب في المكانِ المناسب، واختيار الظرفِ الأنسب لكلّ حدثٍ، وغير ذلك من مظاهر الإتقانِ في حياته المباركة.

٧- تصحيح الخطأ دون تحطيم النفس
إذا أخطأوا أو قصّروا، فكن هادئًا، وعلّمهم كيف يُحسِّنون أداءهم، وركّز على تحسين العمل لا على توجيه اللوم للشخص.

٨- وضع معايير للإتقان بالتدريج
ابدأ بتعويدهم على الإنجاز الجيد، ثم ارفع المعايير تدريجيًّا "وحْدَة وحْدَة" بحسب أعمارهم وقدراتهم.

وسائل مساعدة:

- قم بإعداد جداول تحفيزية: لمتابعة المهام المتقنة وتقديم المكافآت عليها.
- نظِّم منافسات أسرية: مَن يتقن ترتيب كتبه أو إعداد طعامه أو أداء فروضه بأفضل صورة.
- دربهم القيام بألعاب تنمى الصبر والدقة: مثل تركيب المكعبات أو الأعمال اليدوية الدقيقة.

نصائح مهمة للوالدين:

- لا تطلب الإتقان الكامل دفعة واحدة، بل بالتدريج "بالراحة.. وحْدَة وحْدَة" كما أشرنا.
- لا تجعل الإتقان مصدر توتر أو قلق، بل اجعله دافعًا نابعًا من الحب والرغبة.
- تذكّر أن الإتقان الحقيقى هو ثمرة حبّ العمل، لا الخوف من العقاب.

متى يكون الإنسان محمود السيرة في الأرض في السماء؟

يكون الإنسان محمود السيرة (في الأرض وفي السماء) بإتقانه وإحسانه وبراعته وتجويده، من خلال:

١. **إتقان العمل**: أن يؤدي كل عمل يقوم به على أكمل وجه، بإخلاص وجودة، مستشعرًا مراقبة الله.

٢. **إتقان الأخلاق**: أن يتحلى بالصدق، والأمانة، والوفاء، وحسن الظن بالناس، والحياء، وسعة الصدر، فيصبح حسن المعاملة محبوبًا بين الناس.

٣. **إتقان العبادة**: أن يؤدي العبادات بإخلاص وخشوع، مع إحسان الظن بالله تعالى، ومراعاة آداب العبادة وظروفها.

٤. **إتقان التعامل مع الناس**: بالتواضع، والرحمة، ولين الجانب، والعدل، والإنصاف، واحترام الكبير والعطف على الصغير.

٥. **إتقان ضبط النفس**: بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، وكظم الغيظ، ومجاهدة النفس على الخير.

٦. **التطوير المستدام**: لا يكتفى بما بلغ، بل يسعى دائمًا لتحسين نفسه، ويتقبل النصيحة، ويتعلم من أخطائه.

فبمجموع هذه الإتقانات، تطيب سيرة الإنسان في الدنيا، ويُثنى عليه في حياته وبعد وفاته، ويُرجى له الفوز في الآخرة، كما قال الله تعالى: (وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) (الشعراء: ٨٤).

كل مهنة في الدنيا تحمل بداخلها شرف الغرس والإتقان:

- الطبيب يغرس الحياة.
- الفلاح يغرس الخير.
- المعلم يغرس العلم.
- العامل يغرس الحضارة.
- التاجر يغرس الثقة.
- الأب والأم يغرسان الأخلاق والقيم في قلوب أبنائهم.

صور من الإتقان في حياتنا

-إتقان العامل في مصنعه.
-إتقان الطبيب في علاجه.
-إتقان المعلم في تدريسه.
-إتقان الفلاح في زراعته.
-إتقان الجندي في حماية وطنه.
-إتقان المسؤول في أداء الأمانة التى حملها.

كل إتقان في مجاله عبادةٌ لله، ولبنةٌ في بناء الوطن.

فليكن شعارنا جميعًا: "ونغرس فيأكل من بعدنا، ونتقن ليبارك الله لنا فى غرسنا".

اللهم اجعلنا من عبادك المتقنين لأعمالهم، المحسنين لعباداتهم، الشاكرين لأنعمك، المتفكرين في آياتك.

اللهم زدنا لك خشية، ولك محبة، وعليك توكلًا، وإليك إنابة.

اللهم لك الحمد على نعمك الظاهرة والباطنة.

اللهم اجعلنا لك شاكرين، لك طائعين، لك مخلصين، وإليك منيبين.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللَّهُمَّ أَنْزِلِ السَّكِينَةَ عَلَى مِصْرَ وَأَهْلِهَا وَافْتَحْ لَنَا البَرَكَاتِ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْض وَبَارِكْ فِي مِصْرَ وَرجَالِهَا وشَعْبِهَا وَجَيْشِهَا...

اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين، اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا اللهم طهّر قلوبنا من الكبر، وزيّنها بالتواضع،اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلِّ اللهم وسلِّم وبارِك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..وأقم الصلاة.

خادم الدعوة والدعاة د أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)

المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman٥٥٥٥٥@gmail.com

يُرجي من السادة الأئمة والدعاة متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها:

(الدكتور أحمد علي سليمان)؛ لمتابعة كل جديد https:www.facebook.comdrahmedalisoliman